



من أقوال السلف في بيان أهمية التوكل وارتباطه بالإيمان

- ابن عباس: التوكل جماع الإيمان.
- سعيد بن جبير: التوكل على الله نصف الإيمان.
- أبو الدرداء: ذروة الإيمان الاخلاص والتوكل والاستسلام للرب عز وجل.
- أبو محمد سهل: ليس في المقامات أعز من التوكل.
- سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان.
- سهل بن عبد الله: من طعن في الاكتساب فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.
- أحمد: التوكل عمل القلب.
- الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب.
- فضيل بن عياض: التوكل قوام العبادة والتوكل من أوجب واجبات القلب.
- ابن القيم: إن التوكل يجمع أصليين: علم القلب وعمله، أما علمه: فيقينه بكفاية وكيه وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. وأما عمله: فسكونه إلى وكيه وطمأنينته إليه وتفويضه وتسليمه أمره إليه ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه. والتوكل من أقوال القلب وأفعاله التي كل منها حسنة وسيئة بنفسها يحصل بها الثواب والعقاب بما يكون في القلوب، وإن لم يظهر على الجوارح. ولا يستقيم توكل العبد حتى يصلح له توحيد، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول. وكذلك لا يحصل تحقيق التوكل حتى يؤمن العبد بكمال ربوبية الله تعالى وما تتضمنه من كمال الملك والتدبير والسلطان والقدرة والتصرف والمشية والقيومية والإحاطة وملك الضر والنفع، فذلك من أقوى



أسباب ودواعي التوكل ولهذا نجد في كثير من الآيات ربط التوكل بالربوبية. وكذلك كل من كان بالله تعالى وصفاته أعلم كان توكله أكمل، والآيات التي بينت تعلق التوكل بأسماء الله وصفاته كثيرة. ويستحيل أن يتم توكل العبد حتى يتم له أمران هما صلة تامة بتوحيد الألوهية وهما: حسن الظن بالله عز وجل والتفويض. والآيات التي ربطت العبادة والإنابة بالتوكل قد صورت العلاقة بين الإلهية والتوكل وهي كثيرة. فالتوكل على الله عبادة يجب إخلاصه لله فصرفه لغيره شرك ينافي التوحيد (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) إن كنتم مؤمنين بالله ومصديقين به فلا تعتمدوا في جميع أموركم إلا عليه وحده. إن الإقرار بالربوبية والألوهية هو أول دليل على أنه وحده سبحانه المستحق أن يُفرد بالتوكل (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا)، (إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)، (و توكل على الحي الذي لا يموت). وقرن تعالى التوكل بالربوبية والألوهية معاً ومن ذلك قول الحق (قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب) وقوله (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً) وقوله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)؛ فالألوهية مقتضية للتبتل إليه تعالى بالكلية وقطع التعلق بالمرءة عما سواه من البرية. والتوكل من أكثر مقامات الإيمان صلةً بأسماء الله وصفاته ولذلك عرف بعضهم التوكل بأنه: المعرفة بالله وصفاته. ومن الآيات (وتوكل على الحي الذي لا يموت)، (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) وربط التوكل بصفتي (العزیز) و(الحكيم) في قوله تعالى (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم). كذلك الآيات التي يذكر فيها القضاء والقدر تذييل بالتوكل إذ يستحيل أن يحصل توكل حتى يعلم المسلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئة الله وقدرته، وأنها تنتهي كلها



إلى علمه، فلا بد من الإيمان بقضاء الله وقدره، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وتحقيق التوكل مترتب على تحقيق الإيمان بالقدر قال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) وقال (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون). إن القضاء والقدر والتوكل من أساسيات الدين، والقضاء والقدر سابق للتوكل، والقدر أشمل وأعم من التوكل، والقضاء والقدر جالبان للراحة والطمأنينة والسعادة وسلوك الطريق المستقيم، والتوكل داخل في الإرادة الشرعية والقضاء والقدر داخل في الإرادة الكونية، والتوكل وإتخاذ الأسباب يدفعان القضاء والقدر. واقترن لفظ العبادة بالتوكل في مواضع منها (إياك نعبد وإياك نستعين) و(فاعبده وتوكل عليه) والتوكل داخل في معنى العبادة. واقترن التوكل بالتقوى في مواضع منها (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون)، (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فسرّ اقتران التوكل بالتقوى هو سرّ اقتران الاستعانة بالعبادة. وكذلك فإن التوكل سبب ولكنه ليس كافياً في حصول المراد، بل يحتاج معه إلى التقوى. وكلاً منهما يعتمد امتثال المأمور واجتناب المحذور. واقترن التوكل بالإنبابة في مواضع (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)، (قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب)، (ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب)، (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) قال ابن عاشور: والإنبابة الرجوع والمراد بها هنا الكناية عن ترك الاعتماد على الغير. وكلاهما يحتاج للآخر ويجب أن يفرد العبد ربه بكليهما. واقترن الصبر بالتوكل على الله في



مواضع منها (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) فالصبر مبدأ السلوك إلى الله تعالى والتوكل هو آخر الطريق ومنتهاه. قال تعالى (ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فالصبر والتوكل من أقوى الأسلحة في مواجهة الشدائد والصعاب في طريق الدعوة وتحمل أعبائها، وقيل الصبر خاص بوقت المصيبة والتوكل في أمر مستقبل، والصبر في حاجة للتوكل لأنه (أي الصبر) من العبادات، وكلاهما من أمهات الصفات التي يجب على المؤمن الإتيان بها، وقيل الصبر في أمر مملوك يحتاج للتحمل والتوكل خاص بأمر غيبي كوني يحتاج للاعتماد على الله والثقة بتدبيره، والتوكل على الله هو نتيجة للصبر. والتوكل على الله في إقامة الدين ودعوة الناس إليه يحتاج إلى همة عالية، فهو من أعظم مقامات التوكل وأرفعها كما هي همم الرسل والأنبياء وبعدهم الصحابة رضي الله عنهم. قال الله تعالى (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

- ابن عباس: "حسبنا الله ونعم الوكيل" قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال له الناس (إن الناس قد جمعوا لكم).